

« إذا كانت السيدة مائير تريد أن ترى العمال العبريين يقطرون عرقاً في أيام الصيف الحارة ، ان كان ذلك يسرها ، فذلك شأنها هي . ولكن ليس من الممكن ان يصبح المقياس الوطني الذي على أساسه يتم اقتناع الجمهور بأنه يجب الا اندمج اقتصاد الضفة الغربية . . . ان كل أم يهودية تريد ابنتها ان ينهي مدرسته وجامعته وأن يصبح كيميائياً او تقنيا او مهندساً او على الأقل سمكرياً مدرّباً . من الذي يدرّب شباب اليوم على الأعمال البسيطة ، حمل اكياس الاسمنت او الاسفلت من أجل شق الطرق ؟ في مجرى الوقت سنحتاج في اي حال الى عمال عرب للبناء والزراعة وحتى للصناعة . ان المهاجرين هم ، أكثر فأكثر ، أناس يقع مجال اختصاصاتهم بعيداً عن هذه الأعمال البسيطة » (٨١) .

لقد بدأ يتحقق ما توقعه بنحاس سابير عندما حذر من « ان دمج العمل العربي في الاقتصاد اليهودي سينتج نظاماً ذا طبقتين مع صيرورة العرب عمالاً لسحب المياه وقطع الخشب » (٨٢) * . وقد نتج عن ذلك تغييرات ثقافية رئيسية في بعض قطاعات المجتمع الاسرائيلي ، وصدام عنيف مع القيم التقليدية لـ « صهيونية العمل » . لقد عبرت بجلاء عن هذا التمزق في القيم القديمة رسالة مشهورة كانت امرأة تطلقه قد كتبتها الى موشيه دايان ، ونشرتها الصحافة الاسرائيلية :

« ولد كلانا ، أنا وزوجي ، في موشاف [مستوطنة زراعية تعاونية] في مركز البلاد . وحتى حرب الايام الستة كنا نعيش بارتياح ، ونعمل بجد ونوفر معيشة مثرفة . ولكن منذ الحرب تغيرت الامور جذرياً ، اذ ان زوجي ، وهو رجل تقدير ، أصبح مقالاً في عمل الزراعة . ان عمله لا يتضمن اية مشكلة : فالعمل رخيص وهناك دائماً سوق له . واليوم لدينا ٥ عمال عرب وقد وصلنا الى درجة ان لا أحد في الموشاف يقوم بأي عمل مهما خف . وفي هذه الايام يرفض ابني الاكبر مجرد جز « الجنينة » قائلاً « محمد سيقوم بذلك » . وان تطلب منه تحويل انايب الري او ان يقوم بأي عمل يدوي هو امر غير وارد على الاطلاق . ان اولادي وأولاد الموشاف الآخرين يعدون ، امام مرأى ناظري ، ابناء رجال اغنياء من النوع الزائف السييء السمعة ، الذين يقوم الخدم بعملهم . انهم لا يعرفون ان يسوقوا الجرار الزراعي الواقف في باحتنا ويتصرفون وكأن عمل الزراعة اذن من عزة نفوسهم . . . وحتى الاسبوع الماضي ، كان العمال يعيشون في بيوت مكتظة عديدة في المنطقة . والان ومع احضار عمال آخرين للمساعدة على حصاد محاصيل الدفيئة * ، فان البيوت المكتظة التي كانت تستوعب العمال اصبحت مليئة تماماً . ولذلك بنى زوجي لعماله كوخاً في باحة الحوش الخلفية . وعندما عبرت عن رفضي الشديد لهذه الخطوة ، طلب مني القيام بنزهة حول القرية . حسناً ، لقد تبين ان كل رجل محترم في القرية تحول الى مقال ، بشكل او بآخر . وان الدفيئات التي يتم بناؤها جميعاً بواسطة العمل العربي تزداد . ان العرب يعيشون في « الادغال » بضع أمتار من فيلاتنا الجديدة ، وأصبحت انماط معيشتنا شبيهة بأنماط معيشة الافندي » (٨٣) .

وهكذا ، فان سياسة الدمج الاقتصادي قد وفرت لاسرائيل أسواقاً جديدة مهمة ، ومصادر لقوة عمل شديدة الاستغلال . لقد غدت المستوطنات شيئاً حيويّاً للاقتصاد الاسرائيلي .

* لاحظ آخرون ، بشكل أكثر صحة ، وجود ثلاث شرائح اثنية في المجتمع الاسرائيلي : اليهود من أصل قريبي فوق ، والعرب الفلسطينيين تحت ، واليهود الشرقيين بينهما .
* الدفيئة : مستنبت زجاجي عالي الحرارة لانتاج النباتات .